الباب السابع والأربعون: في التختم والحليّ والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك

وما جاء في التختم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يتختم في يمينه، وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه. قال بعضُ مَنْ مدحه عليه الصلاة والسلام:

كفُّ الرسالةِ ليسَ يخفى حسنُها ... وتمامُ حسنِ الكفِّ لبسُ الخاتمِ

وذكر السلامي: أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده. فنقله معاوية رضي الله تعالى عنه إلى اليسار، وأخذ الأموية بذلك، ثم نقله السفاح إلى اليمين فبقي إلى أيام الرشيد رضي الله تعالى عنه، فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك. وعن عليّ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «تختموا بخواتيم العقيق فإنه لا يصيب أحدكم غمّ ما دام عليه ذلك». وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ابنه اشترى فصّ خاتم بألف دينار فكتب إليه: عزمت عليك إلا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتماً من ورق[1] وانقُشْ عليه: «رحم الله امرأ عرف نفسه» وكان خاتم عليّ رضي الله عنه ورق، ونقشُهُ «نعم القادر» وكان لأبي نواس خاتمان؛ أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب:

تعاظمني ذنبي فلما قرَنْتُهُ ... بعفوِكَ ربي كان عفوُك أعظما

والآخر حديد صيني وعليه: «أشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً»، وأوصى عند موته أن يغسل الفصّ ويجعل في فمه. قال جعفر بن محمد رضي الله تعالى عنه: ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج، وقيل: الخواتم أربعة: الياقوت للعطش، والفيروزج للمال، والعقيق للسنة، والحديد الصيني للحرز[2]، وقيل: للخوف، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر ما جاء في الحليّ: قيل إنّ قرطَيْ مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما. وقال محمد: بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي. كانت للرائقة جارية خالد بن عبد اللّه القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار، وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ فدخلت عليه بهما فقال: اكتب معك بوزنهما، فقلت: يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال: صدقت. وبعث معاوية إلى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقاً من ذهب فيه جوهرة قوّمت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي ﷺ وكان ملك العرب كلما مرّت عليه سنة من سني ملكه زيدت في تاجه خرزة. وكان يقال لها خرزات الملك.

---

(١) ورق: فضة.

(٢) للحرز: الرقية.

ذكر ما جاء في الطيب والتطيب. قال رسول الله ﷺ: «أطيب الطيب المسك» وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كأني أنظر وإلى بيص[١] الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم. وعن سهل بن سعد يرفعه: «إنَّ في الجنة لمرعى من مسك مثل مراعي دوابكم هذه». وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ فنام عندنا فعرق، فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلتُ العرق فيها فاستيقظ وقال: «يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟» فقالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب. وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: لو كنت تاجراً ما اخترت على العطر، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه. وناول المتوكل فتى فأرة[٢] المسك فقال:

لئـــن كـــانَ هـــذا طيـبَنَـــا وهـــو طيـــبٌ لقـــد طيَّبَتْـــهُ مـــن يـــدَيْـــكَ الأنـــامـــلُ

وأهدى عبد اللَّه بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية[٣]، فسأله: كم أنفق عليها؟ فذكر مالاً جزيلاً، فقال: هذه غالية فسميت بذلك، وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء، فقال: علميني كيف تصنعين طيبك؟ فقالت: لا أفعل، تريد أن تعلم جواريك، هو لك مني كلما أردته، ثم قالت: والله إني ما تعلمته إلا من شعرك حيث تقول:

أطيـــبُ الطيـــبِ عـــرفُ أم أبـــان فـــأرُ مســـكٍ بعنبـــرٍ مسحـــوقِ

قال أبو قلابة: كان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إذا خرج من بيته إلى المسجد عرف جيران الطريق أنه مرّ، من طيب ريحه. وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال: رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يطلي جسده فإذا مرّ في الطريق قال النّاس: أمرّ ابن عباس أم مرّ المسك؟ وعنه عن أبيه قال: رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين أحرم والغالية على صدغيه كأنها لزقة. وقال أبو الضحى: رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي. وقيل: لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية. وقال الشعبي: الرائحة الطيبة تزيد في العقل. وقال علي كرّم الله تعالى وجهه: تشمموا النرجس ولو في العام مرّةً فإنّ في قلب الإنسان حالة لا يزيلها إلا النرجس. وكان الشعبي يقول: إذا أورد الورد صدر البرد، وكانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يستحبون إذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم الطيب. وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفاً طيباً. قيل: ولذلك سميت طيبة، وأقول: والله ما طابت إلا بالطيب الطاهر، صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قيل:

إذا لـــم أطـــب فـــي طيبـــةٍ عنـــدَ طيِّـــبٍ بـــه طيبـــةٌ طـــابَـــتْ فـــأيـــنَ أطيَّـــبُ

وقيل: وإن فأرة المسك دويبة شبيهة بالخشف[٤] تصاد لسرتها فإذا صادها الصياد عصب السرّة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها، ثم يأخذ السرّة فيدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكاً ذكياً بعد أن كان لا يرام نتناً. وقد يوجد جرذان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها إلا رائحة لازمة لها. وحكي أن العنبر يأتي

(١) بيص: لمع.
(٢) فأرة المسك: نافجته.
(٣) الغالية: طيبٌ معروف.
(٤) بالخشف: ولد الظبي.

على طفاوة الماء لا يدري أحد معدنه فلا يأكله شيء إلا مات. ولا ينقره طائر إلا بقي منقاره فيه، ولا يقع عليه حيوان إلا نصلت أظفاره فيه، والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفاراً فيه. وقال الزمخشري عفا الله عنه: سمعت ناساً من أهل مكة يقولون: هو من زبد بحر سرنديب، وأجود العنبر الأشهب، ثم الأزرق وأدونه الأسود. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في العنبر زكاة إنما هو شيء نثره البحر. وأما العود فأجوده المندلي، وهو منسوب إلى مندل قرية من قرى الهند، وأجوده أصلبه، وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فإن انطبع فرطب وإلا فلا، ومن خصائصه أن رائحته تطبع في الثوب أسبوعاً فلا يقمل ما دامت فيه. وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور. يحزونه بالحديد فإذا خرج ظاهراً وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار. وأما الند فمصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان.

لـو كنـتُ أحمـلُ جمـراً حيـن زرتُكُـمُ ... لـم ينكـر الكلـب أنـي صـاحـبُ الـدارِ
لكـن أتيـتُ وريـحُ المسـكِ يقـدُمنـي ... والعنبـرُ النـدُّ مشبـوبٌ علـى النـارِ

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد. وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه، ويطيب جميع آلاته بالورد. وقال الحسن بن سهل: أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب، فالنرجس يقوى بالورد، والورد يقوى بالمسك، والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور، والنسرين يقوى بالعود. وقال جالينوس: المسك يقوّي القلب، والعنبر يقوّي الدماغ، والكافور يقوّي الرئة، والعود يقوّي المعدة، والغالية تحل الزكام، والصندل يحل الأورام. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تردُّوا الطيبَ فإنه طيبُ الريحِ خفيفُ المحمل».

تبخر بعض الأمراء وعنده أعرابي ففرطت من الأمير ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الأعرابيّ أم لا، فقال ما أطيب هذا المثلث، قال نعم ولكنك ربعتها. وقال الأحنف.: إن شمَّ رائحة المسك يحيي القلب. وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان: ما شممت أنفي من ريح مسك شممته من الناس إلا ريح كفك أطيب. فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر.

والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.